



## ندوة

### ﴿ الجوانب الاقتصادية في حياة الأنبياء عليهم السلام ﴾

يوم السبت ٢٠ صفر ١٤٢٥ هـ الموافق ١٠ أبريل ٢٠٠٤ م

## الجوانب الاقتصادية في حياة نبي الله نوح عليه السلام

### إعداد

الدكتور / كرم حلمي فرحات أحمد

مدرس التاريخ الإسلامي والحضارة الإسلامية

معهد الدراسات والبحوث الآسيوية

جامعة الزقازيق

---

مدينة نصر - القاهرة - جمهورية مصر العربية

تليفون ٤٠٢٧٥١٤ - ٢٦١٠٣٠٨ - ٢٦١٠٣١١ - ٢٦١٠٣١٢ تليفاكس

Nasr City, Cairo, Egypt, Tel.: 4037514-2610308 - 2610311, TelFax: No. 2610312  
www.SAKC.gq.nu E-mail: [salehkamel@yahoo.com](mailto:salehkamel@yahoo.com)

## مقدمة

الحمد لله وكفلاً، وسلام على عباده الذين اصطفى... وبعد....

خلق الله عز وجل الإنسان وسخر له كل ما في السموات وما في الأرض، ووفّر له أسباب الحياة والاستقرار، وجعل الحياة في متناول يده ونطاق عقله وقدراته، فقال سبحانه: ﴿سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مِنْهُ﴾<sup>(١)</sup>. وقال عز وجل: ﴿وَلَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَاعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾<sup>(٢)</sup>.

فمهمة الإنسان في الحياة بعد عبادة الله عز وجل هي إعمار الأرض بالزراعة، والصناعة والتجارة، والأبنية وغيرها. قال تعالى: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾<sup>(٣)</sup>.

الاقتصاد باعتباره سلوكاً بشرياً واستغلالاً للموارد التي خلقها الله عز وجل للإنسان وسخر هذه الموارد لقيام حياته، فإنه يحتاج إلى مصادر المعرفة الثلاثة، النقل: وهو الوحي المنزل من عند الله عز وجل الذي يعرفنا بما في الكون الواسع الذي لا يمكن معرفته بالعقل.

**والمصدر الثاني: العقل** والذي عن طريقه يمكن إدراك ما في الحياة من أمور بالتصور السليم والمنطق السديد.

**والمصدر الثالث: الحواس** من سمع وبصر وغير ذلك؛ لكي يدرك الإنسان عن طريقها الأشياء المادية للتعامل معها بما يفيد، وبما يعود عليه بالنفع.

هذا ما يقوم عليه الاقتصاد الإسلامي فبجانب العقل والحس يكون النقل، بخلاف غيره من المذاهب الاقتصادية التي تقوم على الجانب المادي فقط، وتغفل الجانب الإيماني، فتعتمد على مصدرين العقل والحس فقط.

من هذا المنطلق فإن اختيار موضوع البحث «الجوانب الاقتصادية في حياة نبي الله نوح عليه السلام»، وذلك لنشر المعرفة الاقتصادية من منظور إسلامي يدخل في اعتباره البعد الإيماني.

لقد وجب على الإنسان أن يبذل ما في وسعه لإعمار الأرض، والتمكن من ثرواتها

(١) سورة الجاثية الآية (١٣)

(٢) سورة البقرة الآية (٣٦).

(٣) سورة هود الآية (٦١).

التي جعلها الله عز وجل مصدر حياة الإنسان، فقال سبحانه : «لَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ» (١).

إنه من السنن الإلهية إرسال الرسل والأنبياء المزودة بالكتب المنزلة عليهم لهداية الناس إلى الصراط المستقيم، وهو طريق الحياة التي يلائم خلقهم وطبيعتهم وسائر وظائفهم الإنسانية، ويضمن لهم عدم الوقوع في مهاوي الهلاك، ويؤمنهم ضد الضلال في بيداء الظنون والأوهام، ويهديهم إلى النظم التي تكفل لهم التمتع بحياة سهلة رغدة مليئة بالسعادة والهناء وهو قوله تعالى : «قُلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ تَبَعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ» (٢).

فمن بين هذه النظم النظام الاقتصادي، الذي حظى باهتمام الرسل في توجيه نظر الإنسان إلى أن الاقتصاد أمر حيوي في بناء المجتمعات المستقرة الآمنة المطمئنة جنباً إلى جنب بجوار العوامل الروحية الأخلاقية.

كان نبي الله نوح عليه السلام نموذجاً عظيماً لربط العقيدة الإيمانية والجوانب الروحية بالتنمية الاقتصادية، فبقدر الالتزام بشرع الله والخضوع له بقدر ما يغدق الله على الإنسان من نعم الحياة، تلك النعم التي تعد ثمرة للعوامل الروحية، حيث يقول الله عز وجل على لسان سيدنا نوح عليه السلام : «فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا (١٠) يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا (١١) وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ يَبِينُ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا» (٣).

فقصة نبي الله نوح عليه السلام مع قومه تصف تجربة من تجارب الدعوة في الأرض، وتمثل دورة من دورات العلاج الدائم الثابت المتكرر للبشرية، وشوطاً من أشواط المعركة الخالدة بين الخير والشر والهدى والضلال والحق والباطل.

ذكر لنا القرآن الكريم الحوار الطويل الذي دار بين سيدنا نوح عليه السلام وبين قومه، فكان حواراً مجسداً لربط الجوانب الاقتصادية بالجوانب الروحية الإيمانية، وجاء رد قومه عليه يرفضون هذا الربط بين طاعة الله عز وجل وبين ما يغدق به الله من نعم على الناس.

(١) سورة الأعراف الآية (١٠).

(٢) سورة البقرة الآية (٣٨).

(٣) سورة نوح الآية (١٠ - ١٢).

فالأنبيااء يريدون حياة مضبوطة بضوابط الدين والشرع، قائمة على معارف الوحي والواقع كليهما، أما قوم نوح فإنهم كفروا بدعوته إلا القليل منهم؛ ظناً منهم أنه لا بد للرسول أن يكون من أصحاب الجاه والثراء، فقال الله عز وجل: ﴿فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ أَتْبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُوا بِآدِي الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾<sup>(١)</sup>.

فما كان من نوح عليه السلام إلا أن استخدم الجانب الاقتصادي في دعوته ونفذ أمر الله عز وجل زراعة وصناعة، حيث زرع أشجار السنوبر - وقيل أشجار الساج - وانتظر عليها، ثم قطعها ونشرها وقام بتفصيلها ألواحاً حتى وصل بالأمر إلى صناعة السفينة فاستخدم صنعة النجارة والحدادة في نجاح دعوته، كل هذا يستوجب تخطيطاً ناجحاً يساعده فيه بشر آخرون، تخطيطاً للقطع والنشر والتفصيل والتثبيت، وكذلك تخطيطاً لبيان حجم السفينة وطولها وعرضها وارتفاعها، ثم تخطيطاً آخر يخص من بداخل السفينة، ألا وهو كيفية توفير وسائل الحياة بها من مأكـل ومشرب وإعداد وتخزين وغير ذلك من مستلزمات الحياة.

بناء عليه جاء البحث شاملاً الحديث عن نوح عليه السلام وقومه، والموقع الجغرافي لدعوته، وما بذله من جهد وما تحمله من مشاق في سبيل الدعوة، والمنحى الاقتصادي الذي نحاه في صناعة السفينة، والأنشطة الاقتصادية في عهده، والمعالم الرئيسية للحياة الاقتصادية التي عاشها نوح عليه السلام، ثم النظر في حاجة أوضاعنا الاقتصادية المعاصرة إلى ربط الحياة المعيشية بالدين.

من أجل أن يصل البحث إلى مبتغاه، ولكي يحقق الهدف سلك الباحث دروباً ودروباً كلها صعبة ومشقة في الحصول على المادة العلمية، فكثيراً ما وقف الباحث طويلاً أمام كل كلمة تمس الموضوع من قريب أو من بعيد محاولاً الاستنباط منها مستخدماً كل ما يملك من قدرة بحثية، خاصة أن المصادر والمراجع قد ضنت بشدة في المادة العلمية، حتى نحقق المآرب. والله أسأل التوفيق والسداد، إنه على ما يشاء قدير.

(١) سورة هود الآية (٢٧).

## سيدنا نوح عليه السلام وقومه

أرسل الله عز وجل نوحاً عليه السلام عندما انحرفت الإنسانية في عقيدتها، مبشراً بالحق في مجال العقيدة، وبالخيرات في مجال الأخلاق، وبالعادلة في مجال التشريع.

هو نوح بن لامك بن متوشلخ بن خنوخ، وهو إدريس بن يرد بن مهلابيل بن قين بن أنوش بن شيث بن آدم أبي البشر عليه السلام.

كان مولده بعد وفاة آدم بمائة سنة وست وعشرين سنة، واختلفوا في مقدار سنه يوم بعث، ف قيل كان ابن خمسين سنة، وقيل ابن ثلثمائة وخمسين سنة، وقيل ابن ريعمائه وثمانين سنة، فبعثه الله عز وجل لما عبدت الأصنام والطواغيت وشرع الناس في الضلالة والكفر، فبعثه الله رحمة للعباد فكان أول رسول بعث إلى أهل الأرض، كما يقول له أهل الموقف يوم القيامة<sup>(١)</sup>.

كان نبي الله نوح عليه السلام ذا عقل وعلم ولسان وصوت حسن، واسع الجبهة أسيل الخد، وكان يرعي الغنم لقومه مدة، وربما عالج التجارة، ثم كره مجاورة قومه لعبادتهم الأصنام، وكان لهم ملك يقال له «درمشيل»، وكان جباراً عاتياً قوياً، وهو أول من شرب الخمر واتخذ القمار، وقعد على الأسرة، واتخذ الثياب المنسوجة بالذهب وأمر بصناعة الحديد والنحاس والرصاص، وكان هو وقومه يعبدون الأصنام الخمسة : ودأ وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً، ثم اتخذ ألف صنم وسبعمائه صنم على صور شتى، واتخذ لها كراسي من الذهب والفضة، وأقام لها الخدم يخدمونها، فاعتزلهم نوح عليه السلام إلى البراري ولم يخالطهم حتى بعثه الله تعالى نبياً<sup>(٢)</sup>.

قال ابن عباس : أما ودأ وسواعاً ويغوث ويعوق ونسراً، فهذه أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون فيها أنصاباً وسموها بأسمائهم ففعلوا، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عُبِدَت<sup>(٣)</sup>.

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٩٤/١.

(٢) نهاية الأرب للنويري ٤٣/١٣.

(٣) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ٥٣٥/٨.

قال ابن عباس : وصارت هذه الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد ذلك<sup>(١)</sup>.

فالمقصود أن الفساد عندما انتشر في الأرض وعم البلاء بعباد الأصنام بعث الله عبده ورسوله نوحاً عليه السلام يدعو إلى عبادة الله وحده لا شريك له، وينهي عن عبادة ما سواه، فكان أول رسل بعثه الله إلى أهل الأرض كما ثبت في الصحيحين عن أبي هريرة عن النبي ﷺ أن أوحى عليه السلام أول الرسل إلى أهل الأرض<sup>(٢)</sup>.

قال نوح عليه السلام لقومه : ﴿عَبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾<sup>(٣)</sup>.

لقد دعاهم إلى الله بأنواع الدعوة في الليل والنهار والسرو والإجهار، بالترغيب تارة وبالترهيب أخرى، ومبع كل هذا فلم ينجح فيهم، بل استمر أكثرهم على الضلالة والطفیان وعبادة الأندنام والأوثان، ونصبوا له العداوة في كل وقت وحين، وتنقصوه وتنقصوا من آمن به وقد وعدوهم بالرجم ونالوا منهم وبالفوا في أمرهم.

تطاول الزمان والمجادلة بينه وبينهم كما قال تعالى : ﴿قَلْبَتْ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ الطُّوفَانُ وَهُمْ ظَالِمُونَ﴾<sup>(٤)</sup>، ومع هذه المدة الطويلة فما آمن له إلا القليل منهم، وكان كلما انقرض جيل وصنوا من بعدهم بعدم الإيمان به، ومحاربتة ومخالفتة، ولهذا قالوا : ﴿قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾<sup>(٥)</sup> قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُمْ بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ<sup>(٥)</sup>. أي إنما يقدر على ذلك الله عز وجل، فإنه الذي لا يعجزه شيء ولا يكثره أمر، بل هو الذي يقول للشئ كن فيكون.

ثم أوحى الله إلى نوح عليه السلام أنه لن يؤمن من قومه إلا قليل، فلا يسوانك ذلك، فإن النصر قريب، والنبأ عجيب، فقال تعالى : ﴿وَأُوحِيَ إِلَى نُوحٍ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾<sup>(٦)</sup>. وهذه تعزية لنوح عليه السلام في قومه، أنه لن يؤمن منهم إلا من قد آمن فلا يسوانك ما جرى فإن النصر قريب.

(١) البداية والنهاية لابن كثير ٩٨/١.

(٢) فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابن حجر العسقلاني ٤٢٨/٦.

(٣) سورة الأعراف آية (٥٩).

(٤) سورة العنكبوت آية (٤).

(٥) سورة هود آية (٣٢).

(٦) سورة هود آية (٣٦).

ثم يجد نوح أي استجابة من قومه ويثس من صلاحهم وفلاحهم ورأى أنهم لا خير فيهم وتوصلوا إلى أذيته ومخالفته وتكذيبه، فدعا دعوة غضب على قومه، قال تعالى : ﴿قَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِن تَذَرْنِي يَظْلُمُونَ عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (١)﴾. فعند ذلك أمره الله عز وجل أن يصنع الفلك وهي سفينة النجاة، التي لم يكن لها نظير قبلها، ولا يكون بعدها مثلها، فقال تعالى : ﴿فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا (٢) وَوَحَيْنَا (٢)﴾، وقال تعالى : ﴿يَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ (٣)﴾، فلما مروا عليه وهو يصنع فيها سخرها منه ثم يسخر هو عليه السلام منهم، ويتعجب منهم ومن استمرارهم على الكفر وعنادهم الذي يقتضي وقوع العذاب، حتى إذا أتم صناعة السفينة قال الله عز وجل : ﴿فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ فَاسْلُكْ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَاطِنٍ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ وَلَا تُخَاطَبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ (٤)﴾.

فتقدم إليه بأمره العظيم العالِي أنه إذا جاء أمره وحل بأسه أن يحمل في هذه السفينة من كل زوجين اثنين من الإنس ومن الحيوانات وسائر ما فيه روح ومن المأكولات وغيرها لبقاء نسلها، وأن يحمل معه أهله، أي أهل بيته إلا من سبق عليه القول منهم، أي إلا من كان كافراً.

أما عدد من كان في السفينة فعن ابن عباس رضى الله عنه قال : كان عدد من في سفينة نوح عليه السلام ثمانين نفساً معهم نساؤهم (٥).

فقال الله عز وجل : ﴿قَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ (٦)﴾، أي على اسم الله ابتداء سيرها وانتهاؤه، وأصبحت السفينة تجري بهم في وسط الأمواج الشديدة العالية لقوله تعالى : ﴿هِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ (٧)﴾، بعد أن أمر الله

(١) سورة نوح آية (٢٥).

(٢) سورة المؤمنون آية (٢٦).

(٣) سورة هود آية (٣٥).

(٤) سورة المؤمنون آية (٢٦).

(٥) البداية والنهاية لابن كثير ١٠٠/١ - ١٠٤.

(٦) سورة هود آية (٤١).

(٧) سورة هود آية (٤٢).

السماء أن تمطر وأمر الأرض بأن تتضرع بعيون الماء، فقال تعالى : ﴿فَفَتَحْنَا أَبْوَابَ السَّمَاءِ بِمَاءٍ مُنْهَمِرٍ (١١) وَفَجَرْنَا الْأَرْضَ عُيُونًا فَالْتَقَى الْمَاءُ عَلَى أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ (١٢) وَحَمَلْنَاهُ عَلَى ذَاتِ أَلْوَاحٍ وَدُسْرٍ (١)﴾، وعم الماء الأرض ولم يبق على وجهها ممن كان بها من الأحياء عين تطرف، ولا صغير ولا كبير، ولكن نوحاً عليه السلام نادى على ابنه (ياف) أن يركب معه في السفينة ولا يكن مع الكافرين فرفض الابن دعوة أبيه وظن أنه سوف يستعصم بالجبل حتى حال بينهما الموج فغرق مع من غرق بسبب كفره، فقال الله عز وجل : ﴿نَادَى نُوحٌ ابْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْزِلٍ يَا بُنَيَّ ارْكَبْ مَعَنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ (٤٦) قَالَ سَآوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ (٢)﴾.

فلما فرغ من أهل الأرض ولم يبق منها أحد ممن عبد غير الله عز وجل، أمر الله الأرض أن تبلع ماءها، وأمر السماء أن تقلع أي تمسك عن المطر، ونقص الماء عما كان، ووقع بهم الذي كان اند سبق في علمه وقدره من إحلاله بهم ما حل بهم، فقال تعالى : ﴿قِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكَ وَيَا سَمَاءُ أَقْلِعِي وَغِيضَ الْمَاءُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَاسْتَوَتْ عَلَى الْجُودِيِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (٣)﴾، وقال تعالى : ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ (٤)﴾. وقال تعالى : ﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ (٥)﴾.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : «كان مع نوح في السفينة ثمانون رجلاً معهم أهلهم وإنهم كانوا في السفينة مائة وخمسين يوماً، وإن الله وجه السفينة إلى مكة فدارت بالببيت أربعين يوماً ثم وجهها إلى الجودي فاستقرت عليه، فبعث نوح عليه السلام الغراب ليأتيه بخير الأرض فذهب فوق على الجيف فأبطأ عليه، فبعث الحمامة فاتته بورق الزيتون ولطخت رجليها بالطين فعرف نوح أن الماء قد نضب فهبط إلى أسفل الجودي فابتنى قريته وسماها «ثمانين» (٦)».

(١) سورة القمر آية (١٠).

(٢) سورة هود آية (٤٢).

(٣) سورة هود آية (٤٤).

(٤) سورة العنكبوت آية (١٥).

(٥) سورة الصافات آية (٨٢).

(٦) البداية والنهاية لابن كثير ١/١٠٩.



من خلال هذه الدعوة الإيمانية لمنهج التوحيد، ودعوة الناس إلى سلوك هذا المنهج الذي يقتضي توحيد الله عز وجل والاذعان له بالوحدانية والاستسلام له بأنه هو الخالق الرازق المحيي المميت الذي بيده مقاليد الأمور وهو على كل شئ قدير.

نلاحظ أن هذه الدعوة قد ارتبطت ارتباطاً وثيقاً بما يحقق جانباً اقتصادياً عظيماً يزيد من التنمية الاقتصادية في عصر نبي الله نوح عليه السلام، فمن التزم به تحقق له الرخاء الاقتصادي والاجتماعي، فتنحول الأرض الجداء إلى أرض خضراء، وتمتلئ الأنهار بالخير والنماء فيشرب الإنسان والحيوان والنبات والطير ويكثر النسل وتتوفر القوى البشرية إنها الإمداد الإلهي الذي تمثل في الأموال والبنين والجنات والأنهار.

أما الأموال فهي عصب الحياة الاقتصادية والحياة الاجتماعية، فمن أراد المال فعليه بطاعة الله وتوحيده حتى يعيش في سعة من الرزق.

أما البنين فهي المدد الثاني والعنصر البشري في الحياة الاقتصادية والحياة الاجتماعية.

أما الجنات والأنهار وكلتاها نتيجة طبيعية لقانون الاستغفار، فالجنات وما تحويه من زروع وثمار وغير ذلك من الزروع، والأنهار هي مصدر الحياة للإنسان والحيوان والنبات.

فدعوة نبي الله نوح يتخللها منهج اقتصادي، وكلها نعم مترتبة على الإيمان تنظرهم في عاجل حياتهم من إرسال المطر لسقيهم وسقيا أرضهم ووفرة الأموال وكثرة الذرية<sup>(١)</sup>.

فما من أمة قام فيها شرع الله واتجهت اتجاهها حقيقياً لله عز وجل بالعمل الصالح إلا فاضت فيها الخيرات ومكن الله لها في الأرض واستخلفها فيها بالعمران وبالصلاح<sup>(٢)</sup>.

(١) قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار ص ٤٨.

(٢) هي ظلال القرآن لسيد قطب ٣٧١٣/٦.

## المواقع الجغرافية لدعوة سيدنا نوح عليه السلام

كان قوم نوح عليه السلام قد عكفوا على عبادة غير الله تعالى، واتخذوا لهم أصناماً يعبدونها من دون الله، فاختر الله تعالى نوحاً من بين أولئك القوم لينذرهم عذاب الله إذا تمادوا في غيهم وضلالهم، ومن خلال الحوار الذي مر بين نوح وقومه، وصناعة السفينة وأمر الطوفان وانتهائه وبداية حياة جديدة لنوح ومن آمن معه يتضح لنا أن الموقع الجغرافي لدعوة سيدنا نوح عليه السلام سواء قبل الطوفان أو بعده هو منطقة «الموصل»، يقول ياقوت الحموي : الجودي : هو جبل مطل على جزيرة ابن عمر في الجانب الشرقي من دجلة من أعمال الموصل، عليه استوت سفينة نوح عليه السلام لما نضب الماء<sup>(١)</sup>.

يقول ابن سعد : «انتهت السفينة إلى الجودي، وهو جبل بالحصنين من أرض الموصل»<sup>(٢)</sup>.

ويقول النويري : لما ركب نوح السفينة ومن معه من المؤمنين وطافت به الشرق والغرب ورجعت إلى ديار قومه، ثم استقرت على جبل الجودي<sup>(٣)</sup>.

وقيل : حدث الطوفان أيام نوح عليه السلام في بلاد النهرين «العراق»<sup>(٤)</sup>.

ويقول النويري : ولما أوصى الله عز وجل إلى نوح عليه السلام : «اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَى أُمَمٍ مِمَّنْ مَعَكَ»<sup>(٥)</sup>. فخرج من السفينة وأخرج من فيها، وأعاد الله الليل والنهار والشمس والقمر والنجوم والأشجار والنبات كما كانت، وتفرق الوحش والسباع والطيور وغيرها في الأرض وأمر نوح فبنيت قرية في أسفل جبل الجودي، وهي أول قرية بنيت على وجه الأرض بعد الطوفان<sup>(٦)</sup>.

وقيل : استوت السفينة على جبل الجودي من ديار بكر<sup>(٧)</sup>.

(١) معجم البلدان لياقوت الحموي ١٧٩/٢.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ١٧/١/١١.

(٣) نهاية الأرب للنويري ٤٨/١٣.

(٤) العائلة البشرية لإبراهيم زرقانة ص ١٨٢.

(٥) سورة هود آية (٤٨).

(٦) نهاية الأرب للنويري ٤٩/١٣.

(٧) قصص الأنبياء لعبد الوهاب النجار ص ٥١.

## المنحى الاقتصادي في صناعة السفينة

يحكى القرآن الكريم الحوار المجسد لقصة سيدنا نوح عليه السلام، والذي بداه نبي الله نوح مخاطباً قومه فقال : «يَا قَوْمِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ (٢) أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ وَأَطِيعُوا (٣) يَغْفِرْ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُخْرِجْكُمْ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنْ أَجَلَ اللَّهِ إِذَا جَاءَ لَا يُخَرُّ لَوْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (١)». لكن قوم نوح أجابوه مستنكرين دعوته والإيمان بالله وعدم الاقلاع عن عبادة الأصنام فقالوا : «يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ (٢)». فبلغ نوح عليه السلام درجة اليأس من إيمان قومه بعد خمسين وتسعمائة سنة على ما نصه القرآن أقامها فيهم يدعوه ولا يألوههم نصحاً كان ما قصصه الله بقوله : «وَأَوْحِي إِلَيَّ نُوحَ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ (٣)».

توجه نوح عليه السلام إلى ربه بالدعاء عليهم فقال : «قَالَ نُوحٌ رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا (٢٦) إِنَّكَ إِنْ تَذَرَهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا (٤)». عند ذلك أمره الله عز وجل أن يصنع الفلك لتكون أداة النجاة لنوح ومن معه من المؤمنين من الغرق العتيد الذي سوف ينزل بهؤلاء المعاندين الكافرين.

فقال عز وجل : «وَاصْنَعِ الْفُلَكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا (٥)». فصناعة السفينة تستلزم معرفة جيدة بأمر التجارة كصناعة هامة وضرورية في الحياة، وهذه الصناعة تستلزم وجود أدوات التجارة المختلفة، كما تستلزم معرفة جيدة بشق الأخشاب وتجهيزها ألواحاً صالحة، وهذه الألواح تستلزم رابطاً جيداً لها وهو المسامير، وهذه المسامير تستلزم صنعة جيدة وهي الحدادة التي يقوم بها الحداد ويصوغ بجودة هذه المسامير التي تصلح لهذا العمل.

والصناعة وجه من وجوه المعاش والحياه وتعتبر من ضروريات العمران ومادتها الخشب والمسامير، وهذا الخشب وهذه المسامير لا تكون سفينة إلا بالصناعة أي

(١) سورة نوح آية (٢ - ٤).

(٢) سورة ص آية (٣٢).

(٣) سورة هود آية (٣٦).

(٤) سورة نوح آية (٢٦ - ٢٧).

(٥) سورة هود آية (٣٧).

صناعة النجارة، فكأن، نبي الله نوح عليه السلام هو أول من تعلمها، فتفهم أسرار الصنائع في الخليفة<sup>(١)</sup>.

إن صناعة السفينة تحتاج إلى تفصيل الخشب إلى ألواح، ثم تركيب تلك الألواح بحسب الصورة المطلوبة، وهو في كل ذلك يحاول بصنعيته إعداد تلك الفضائل بانتظام إلى أن تصير أعضاء لتلك السفينة، فكل ما قام على صناعة هذه السفينة هو يملك صنعة النجارة، ومع هذه الصنعة لأبد من وجود أصل كبير من الهندسة في جميع أصنافها وأشكالها التي يكون هذا الشكل أعون للسفينة في مصادمة الماء وتحريك الرياح، فكان نبي الله نوح معلم هذه الصناعة في الخليفة، وبها أنشأ سفينة النجاة التي كانت بها معجزته عند الطوفان.

إن ما قام به نبي الله نوح عليه السلام ليستلزم منهجاً عملياً، يسبقه تخطيط سليم يقوم على خطوات متتالية تحكمها الدقة والصبر والاختلاص لله عز وجل في هذا العمل وتتمثل هذه الخطوات في : ١- قطع الأشجار ثم تفصيلها إلى ألواح. ٢- وجود الدسر، وهذا يستلزم وجود الحداد وعمل الحدادة. ٣- تدريب وتعليم عدد من المؤمنين النجارة لمساعدة سيدنا نوح عليه السلام. ٤- تجهيز القار، ومعرفة كيفية طلاء السفينة به من الداخل والخارج. ٥- التفكير في الشكل النهائي للسفينة من حيث المساحة والطول والعرض والارتفاع وعدد الطوابق بها.

كل هذا ما كان ليحدث لولا عناية الله عز وجل التي شملت سيدنا نوح والمؤمنين من قومه، وصدق الله إذ يقول : ﴿اصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيُنَا﴾<sup>(٢)</sup>.

إن هذا التخطيط العظيم الذي قدمه نبي الله نوح عليه السلام ليتجلى أيضاً في أن جعل رأس السفينة كراس الطاووس، وعنقها كعنق النسر، وجؤجؤها كجؤجؤ الحمامة، وكوثلها كذنب الديك، ومنقارها كمنقار البازي، وأجنحتها كأجنحة العقاب<sup>(٣)</sup>.

كل هذا التخطيط الصناعي يعد توظيفاً لدعم الإيمان وتحقيق مقاصد الشريعة، هذا المنهج الرياني يربط بين السبب والنتيجة، سبب صنع السفينة لكي تكون وسيلة

(١) مقدمة ابن خلدون تحقيق علي عبد الواحد ٩٤٩/٢ - ٢٥١.

(٢) سورة المؤمنون آية (٢٧).

(٣) نهاية الأرب للنويري ٤٦/١٣.

نجاهة للمؤمنين من العذاب الذي سوف يرسله الله عز وجل على الكافرين، فكان صنع السفينة سبباً ونجاهة نوح وقومه المؤمنين نتيجة، كما كان توحيدهم لله عز وجل سبباً في نجاتهم من الغرق ومن العذاب.

هذا المنحى الاقتصادي الذي سلكه نبي الله نوح عليه السلام في الإعداد لصناعة السفينة وصناعتها وقبل ذلك التخطيط الذي قام به يضاف إليه، أنه يتعين على سيدنا نوح أنه كما خطط للصناعة أن يخطط لما بعد الصناعة وهو كيفية الحياة داخل السفينة لمدة مائة وخمسين يوماً.

يتعين عليه أن يحقق الأمن الغذائي لمن سوف يركب في السفينة من إنسان وحيوان وطيور وهذا يتطلب خطة بعيدة المدى، يتطلب زراعة مسبقة وحصد هذه الزراعة وجمع ثمارها، والعمل على تخزينها والحفاظ عليها، والاقتصاد في الاستهلاك، كما يتعين عليه أن يبقى فائضاً من الحبوب يسمح بإعادة إنتاج كل ما هو معه في السفينة من المحاصيل الزراعية وغير ذلك.

كما يتعين عليه أن يستخدم قوة بشرية تساعد وتعينه على تلبية رغبات كل من في السفينة.

## الأنشطة الاقتصادية في عهد نوح عليه السلام

الإنسان بطبيعته مفتقر إلى ما يفوته ويكفيه في حالاته وأطواره من لدن نشأته إلى أشده إلى كبره، يقول ربنا عز وجل : ﴿وَاللَّهُ الْغَنِيُّ وَأَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ﴾<sup>(١)</sup>.

فالحمد لله سبحانه خلق جميع ما في العالم للإنسان، وامتن به عليه في كثير من الآيات الكريمة فقال عز وجل : ﴿سَخَّرَ لَكُمْ مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِنْهُ﴾<sup>(٢)</sup>. وقال تعالى : ﴿سَخَّرَ لَكُمُ الْبَحْرَ لَتَجْرِيَ الْفَلَكَ فِيهِ بِأَمْرِ رَبِّهِمْ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾<sup>(٣)</sup>، وقال تعالى : ﴿سَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ﴾<sup>(٤)</sup>. وغيرها من الآيات القرآنية.

فيد الإنسان مبسوط على العالم وما فيه، وذلك بما جعله الله له من الاستخلاف، وأيدي البشر منتشرة فهي مشتركة في ذلك، وما حصل عليه يد هذا امتنع عن الآخر إلا بعوض.

فالإنسان متى اقتدر على نفسه وتجاوز طور الضعف سعى في اقتناء المكاسب لينفق ما آتاه الله منها في تحصيل حاجاته وضروراته، فالكسب يكون بالسعي في الاقتناء والقصد إلى التحصيل، فلا بد في الرزق من سعى وعمل قال تعالى : ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾<sup>(٥)</sup>.

فابتغاء الرزق والسعي في تحصيله هو المعاش وهو الحياة، وقد يكون هذا الكسب من الأعمال الإنسانية كالصنائع المختلفة، وقيل أن المعاش إدارة وتجارة وزراعة وصناعة، وكلها وجوه طبيعية للمعاش، وتعتبر أنشطة اقتصادية ضرورية لا غنى للإنسان عنها<sup>(٦)</sup>.

إنها مصادر الكسب التي يجيدها الشخص سواء في التجارة أو الزراعة أو الصناعة أو الأيدي العاملة، خاصة أن الإنسان يحيى في أمة تعيش على ظهر هذه الأرض لهذه الأمة مساكنها وأنشطتها، ولها أعمالها وحياتها وعاداتها وتقاليدها ونظام حكمها

(١) سورة محمد آية (٣٨)

(٢) سورة الجاثية آية (١٣).

(٣) سورة الجاثية آية (١٢).

(٤) سورة إبراهيم آية (٣٢).

(٥) سورة العنكبوت آية (١٧).

(٦) مقدمة ابن خلدون تحقيق علي عبد الواحد ٩٠٥/٢ - ٩٠٦ - ٩١٠ - ٩١١.

وتعاملاتها، فكان لابد من وجود أنشطة اقتصادية تحيا عليها أمة نوح عليه السلام ويحيا معه قومه من المؤمنين، سواء قبل الطوفان أو بعد الطوفان وذلك على النحو التالي :

**النشاط الصناعي :** ويتمثل هذا النشاط في التجارة والحدادة والصباغة والنسيج والخياطة وصناعة البناء.

**أما صناعة التجارة :** فهي من ضروريات العمران ومادتها الخشب، وذلك أن الله عز وجل جعل للأدومي في كل مكون من المكونات منافع تكمل بها ضرورياته أو حاجاته، وكان منها الشجر الذي فيه من المنافع ما لا ينحصر مما هو معروف لكل أحد، ومن منافعه إنشاء المراكب البحرية ذات الألواح والدرس، وهذه الصناعة محتاج إلى أصل كبير من الهندسة في جميع أصنافها، وقد قام بهذه الصناعة نبي الله نوح — عليه السلام، وبها أنشأ سفينة النجاة<sup>(١)</sup>.

لقد عرفت البشرية هذه الحرفة منذ أقدم الأزمان، فهي تلبى حاجات عديدة للإنسان، ومكملة للبناء وهو لا يتم إلا بها، وكذلك السفن لا تصنع إلا بها، وهذا يتطلب نجاراً ويحتاج الخشب من النجار القطع والنشر والتفصيل، وهذا كله لا يتم إلا عن طريق أدوات معروفة بأدوات النجارة التي تسد حاجة النجارين للقيام بحرفتهم<sup>(٢)</sup>.

قال بعض علماء السلف : لما استجاب الله لنوح أمره أن يصنع السفينة. وقال محمد بن اسحاق عن الثوري : وكان من خشب الساج، وقيل من خشب الصنوبر، وأمره أن يجعل للسفينة صدرأً مائلاً ومنحرفاً يشق الماء، وأن يطلّى ظاهرها ويأطنها بالقار<sup>(٣)</sup>.

وقيل : إن الله فجر له عين القار تغلي غلياناً حتى طلاها<sup>(٤)</sup>.

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : نجر نوح السفينة بجبل «بؤذ» من ثم تبدي الطوفان، وكان طولها ثلثمائة زراع وعرضها خمسين ذراعاً وسملها في السماء ثلاثين ذراعاً<sup>(٥)</sup>. وكان عدد طوابقها ثلاثة طوابق، طابق للدواب وطابق لنوح وقومه من المؤمنين، وطابق للطيور<sup>(٦)</sup>.

(١) مقدمة ابن خلدون تحقيق علي عبد الواحد ٩٤٩/٢ - ٩٥١.

(٢) الحرف والصناعات للعمري ص ٢٠٠، ٢٠٥.

(٣) قصص الأنبياء لابن كثير ص ٧٧ - ٧٨.

(٤) التبصرة لابن الجوزي ٦٥/١.

(٥) تاريخ الطبري لأبي جعفر الطبري ١٨٢/١.

(٦) الدلالات السمعية للخزاعي التلمساني ص ١٨٠.

**الحدادة :** تعني هذه الصناعة معالجة الحديد، أي صناعة الحديد وتشكيله بأشكال مطلوبة للانتفاع بها، وهذه الصناعة تستلزم شخصاً يقوم بمعالجتها يسمى الحداد<sup>(١)</sup>. فهو وأمثاله في هذه الصناعة يستخدمون الآلات الحديدية التي تفيدهم في معيشتهم، حيث استفاد سيدنا نوح عليه السلام من هؤلاء الصناع في صناعته لسفينة النجاة.

فالآلات التي انقطع بها الخشب وعن طريقها تم تفصيله إلى ألواح تستلزم أن تكون أدوات حديدية، كذلك استخدامه للدرس التي لا يمكن أن تكون على صورتها المعروفة إلا عن طريق الحدادة وعلى يد حداد ماهر.

فالحدادة نشاط اقتصادي ينتفع به الناس ولا غنى عنه في أي عصر من العصور أو عند أي أمة من الأمم.

**الصياغة :** تعتبر الصياغة حرفة الصائغ وكانت موجودة أيام نبي الله نوح عليه السلام وتعد نشاطاً اقتصادياً يدر على فئة من الناس دخلاً يساعدهم على الحياة، وأنها حرفة يعملون بها، ويطلق لفظ الصائغ على من يحترف الصياغة.

فلم تكن الصناعة موقوفة على ما تتطلبه السفينة من صناعات أيام سيدنا نوح عليه السلام، بل وجدت صناعات أخرى في عصره، فقد كان بين قومه من يقوم بصياغة المعادن وتفصيلها إلى أسره وكراسي سواء من الحديد أو النحاس أو الذهب أو الفضة.

يقول النويري : كان لقوم نوح ملك يقال له «درمشيل، وكان جباراً عاتياً، وهو أول من قعد على الأسرّة، وأمر بصناعة الحديد والنحاس والرصاص، واتخذ ألف صنم وسبعمائة صنم على صور شتى واتخذ لها كراسي من الذهب والفضة»<sup>(٢)</sup>.

**النسيج والخياطة :** كانت صناعة النسيج والخياطة موجودة أيام سيدنا نوح عليه السلام، فهما حرفتان متكاملتان، تدعم إحداهما الأخرى.

فالخياطة لا بد لها من نسيج مسبق، والنسيج لا تتم الفائدة منه إلا بالخياطة فكان الملك في عصر سيدنا نوح عليه السلام يتخذ الثياب المنسوجة بالذهب<sup>(٣)</sup>.

وهذا يستلزم أن يكون من بين هؤلاء القوم من يقوم بصناعة النسيج والخياطة بل

(١) الحرف والصناعات لعمري ص (٢٦٩).

(٢) نهاية الأرب للنويري ٤٣/١٣.

(٣) نهاية الأرب للنويري ٤٣/١٣.



ويتعين عليهم اتقان هذه الصناعة، والدليل على ذلك أنهم ينسجون الثياب بالذهب، كما يستلزم وجوب ثياب لكي يستر الناس بها أجسادهم من حرارة الشمس وبرد الشتاء، وقد استخدم قوم نوح الثياب والتغطية لوجوههم بها حتى لا يرو سيدنا نوح وهو يدعو الناس إلى توحيد الله عز وجل والانصياع لأوامره والابتعاد عن نواهيه، يقول الله عز وجل : ﴿إِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ وَاسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصْرُوا وَاسْتَكْبَرُوا سِتْكَارًا﴾ (١).

**صناعة البناء :** تعتبر صناعة البناء أول صنائع العمران وأقدمها، وهي تعنى معرفة العمل في اتخاذ البيوت والمنازل للسكن، والمأوى للأبدان في المدن.

فإعمار الأرض من مهمة الإنسان ومن بين هذا الإعمار البناء حيث قال الله عز وجل: ﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا﴾ (٢)، أى طلب منكم عمارتها بالبناء وغيره.

وهذه الصناعة تعد نشاطاً اقتصادياً لفئة من الناس، ويحتاج إليها أهل الحضار وغيرهم، والذي لا شك فيه أن مثل هذه الصناعة صاحبة وجود عريق سواء قبل الطوفان أو بعده، وقد يعرف صاحب هذه الصناعة أشياء من التخطيط سواء في خلط مواد البناء وتوزيع النسب بين المواد المستخدمة وتسوية الحيطان وتجهيز الأدوات المستخدمة في البناء (٣)، وهذا ما حدث بالفعل مع نبي الله نوح عليه السلام بعد أن نجّاه الله من الطوفان، وجف الماء واستوت على الجودي وخرج هو ومن معه إلى الأرض، وأراد أن يعمر الأرض فشرع في بناء قرية لهم.

كان بناء هذه القرية من الحاجات الضرورية لنوح وللمؤمنين معه المقيمين والمستقرين على أساس من الأصولية والشرعية. يقول الله عز وجل : ﴿أَقِمْنَ بُيُوتَهُنَّ عَلَى تَقْوَىٰ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٍ خَيْرٌ أَمْ مِّنْ أَسْسٍ بُيَانَةٍ عَلَىٰ شَفَا جُرْفٍ هَارٍ فَأَنْهَارُ بِهِ فِي نَارٍ جَهَنَّمَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ (٤).

وعن ابن عباس رضي الله عنه قال : لما خرج نوح من السفينة اتخذ بناحية "قردي" من أرض "الجزيرة" موضعاً، وابتنى هناك قرية سماها «ثمانين» (٥).

(١) سورة نوح آية (٧)، وانظر في ذلك التفسير الكبير للرازي ٧٣٧/١٥.

(٢) سورة هود آية (٦١).

(٣) مقدمة ابن خلدون تحقيق علي عبد الواحد ٩٤٤/٢، ٩٤٦، ٩٤٩.

(٤) سورة التوبة آية (١٠٩).

(٥) تاريخ الطبري لأبي جعفر الطبري ١٨٩/١.

قال ياقوت الحموي : «الثمانين، بليدة عند جبل الجودي قرب جزيرة ابن عمر التغلبي فوق «الموصل»، كان أول من نزله نوح عليه السلام، لما خرج من السفينة ومعه ثمانون إنساناً فبنوا لهم مساكن بهذا الموضع وأقاموا به، فسمى الموضع بهم»<sup>(١)</sup>.

مما يدل على وجود نشاط اقتصادي آخر متمثلاً في صناعة البناء في عصر نوح عليه السلام والذي لا غنى للناس عنه، فكان ولا بد من وجود أناس يقومون بصناعة البناء وهم الذين يطلق عليهم البنائون.

الزراعة: تعد الزراعة وجه طبيعي من وجوه المعاش، وهي بسيطة وطبيعة فطرية، ولهذا تنسب في الخليفة إلى آدم أبى البشر عليه السلام، وأنه معلمها والقائم عليها، إشارة إلى أنها أقدم وجوه المعاش وأنسبها إلى الطبيعة.

هذه الصناعة شرعتها اتخاذ الأقوات والحبوب والقيام على إثارة الأرض لها وعلاج نباتها وتعهده بالسقي والتنمية إلى بلوغ غايته، ثم حصاد سنبله واستخراج حبه من غلافه وإحكام الأعمال لذلك، وتحصيل أسبابه ودواعيه، وهي أقدم الصناعات لما أنها محصلة للقوت المكمل لحياة الإنسان غالباً<sup>(٢)</sup>.

قال النويري : كان «ملك، أبو نوح قويا شديداً، وكان يضرب الشجرة بيده فيقتلعها من أصلها» (٥) مما يدل على وجود الزراعة كنشاط اقتصادي ضروري للحياة.

وفي عهد نوح عليه السلام أمره الله أن يغرس شجراً فغرسه، وذهب هذا الشجر كل مذهب، ثم أمره بقطعه بعد أربعين سنة ليتخذ منه السفينة<sup>(٣)</sup>.

كما يوجد من الأدلة ما يدل على أن نوحاً وقومه كانوا يمارسون الزراعة، وكانت نشاطاً هاماً عندهم، قول سيدنا نوح عليه السلام لمن معه بعد نزولهم من السفينة وبعد انتهاء الطوفان : «من كان منكم صائماً فليتم صومه، ومن كان منكم مفطراً فليصم» (١) فلولاً أن معهم من الطعام والشراب ما يفطرون عليه فما قال نوح ذلك فلا بد وأن معهم بالسفينة من الطعام والشراب ما يقيمون به حياتهم.

والذي لا شك فيه أن الزراعة كانت أمراً مسلماً به كنشاط اقتصادي له وجوده ونظامه عند سيدنا نوح عليه السلام، فهي حرفة من أهم الحرف التي عرفها الإنسان

(١) معجم البلدان لياقوت الحموي ٨٤/٢ .

(٢) مقدمة ابن خلدون تحقيق على عبد الواحد ٩١١/٢ ، ٩٤٤ .

(٣) تاريخ الطبري لأبى جعفر الطبري ١٨٠/١ .

وهي أهم المصادر الأساسية التي يتم عن طريقها تأمين الغذاء للإنسان، وعن طريقها يتم تأمين بعض الحاجات اللازمة للإنسان في صناعات أخرى ضرورية تعتمد في خاماتها الأولية على الزراعة.

خلاصة القول : إننا أمام نبي من أنبياء الله عز وجل ونموذج إنساني فريد، وكيف لا يكون كذلك وقد اصطفاه الله عز وجل لكي يقدم لنا عملاً مثالياً في ربط الإيمان والتوحيد بالجوانب الاقتصادية، معتمداً على قيم راسخة وعقيدة ثابتة، ربط دعوة التوحيد وعبادة إله واحد لا شريك له بالجانب الاقتصادي، وبين لقومه من خلال دعوة إيمانية أن من أطاع الله ووحدته هيا له حياة طيبة وأغدق عليه من النعم الكثير والكثير ومن الأموال الوفير، ومن الأبناء ما تقربه أعينهم.

فما أحوج أبناء العصر الحديث إلي أن يأخذوا بمنهج الله عز وجل فيوحدونه ويعبدونه حق عبادته، فيكو هذا طوق نجاة لهم مما هم فيه من ضيق وتيه وتخبط ومعاناة. ما أحوجنا إلى أن نلزم أنفسنا بعدة ركائز تكون سبباً في النجاة والانقاذ كما كانت لنوح وقومه المؤمنين وهي :

- إيمان بالله عز وجل وثقة في عدله ونصره وتأييده لعباده.
- الصبر على الشدائد والمصاعب التي تواجهنا في سبيل إعلاء كلمة التوحيد.
- عمق التفكير والتحلي بالعلم والحكمة.
- الجدية في العمل متوجة بالإخلاص لله سبحانه.
- استلهاهم الحكمة والعون من الله عز وجل في التخطيط للحاضر والمستقبل.
- الإيمان بأن توحيد الله عز وجل علاج لكثير من ألوان الضعف في المجتمعات.
- إن الالتزام بقانون الاستغفار يوجه العالم إلى حياة اقتصادية رغدة، وحياة اجتماعية طيبة.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين،

بحث مقدم من

د. كرم حلمي فرحات أحمد

معهد الدراسات والبحوث الآسيوية

جامعة الزقازيق

### مصادر ومراجع البحث

- ١- القرآن الكريم
- ٢- البداية والنهاية  
للحافظ ابن كثير - دمشق ت ٧٧٤ هـ تحقيق مجموعة من الأساتذة.  
طبعة دار الكتب العلمية - بيروت - لبنان ١٩٨٥ م.
- ٣- تاريخ الطبري  
لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري ت ٣١٠ هـ تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم  
طبعة دار المعارف - القاهرة - الطبعة الرابعة ١٩٧٩ م.
- ٤- التبصرة  
للإمام أبي الفرج عبد الرحمن الجوزي ت ٥٩٧ هـ تحقيق مصطفى عبد الواحد.  
طبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه - القاهرة ١٩٧٠ م.
- ٥- التفسير الكبير  
للإمام فخر الدين محمد بن عمر الرازي ت ٦٠٦ هـ  
طبعة دار الغد النري - القاهرة ١٩٩٣ م.
- ٦- العرف والصناعات في الحجاز  
عبد العزيز بن إبراهيم العمري  
طبعة مركز التراث الشعبي بدول الخليج العربية - الدوحة - قطر ١٩٨٥ م.
- ٧- الطبقات الكبرى  
لمحمد بن سعد كتب الواقدي ت ٢٣٠ هـ  
دار الفكر العربي - القاهرة - طبعة ١٩٦٨ م.
- ٨- العائلة البشرية  
لإبراهيم زرقانة.  
المطبعة النموذجية - القاهرة ١٩٥٠ م.
- ٩- فتح الباري بشرح صحيح البخاري  
للإمام الحافظ أحمد بن علي بن حجر العسقلاني ت ٨٥٢ هـ بعناية محمد فؤاد  
عبد الباقي ومحب الدين الخطيب وقصى محب الدين الخطيب.  
طبعة دار الريان للتراث - القاهرة - ١٩٨٦ م.

- ١٠- في ظلال القرآن  
للشيخ سيد قطب  
طبعة دار الشروق - القاهرة - بيروت الطبعة العاشرة ١٩٨٢ م.
- ١١- قصص الأنبياء  
للحافظ ابن كثير الدمشقي ت ٧٧٤ هـ  
دار عمر بن الخطاب - الإسكندرية طبعة ١٩٨١ م.
- ١٢- قصص الأنبياء  
عبد الوهاب النجار  
مكتبة دار التراث - القاهرة ١٩٨٥ م.
- ١٣- الكامل في التاريخ  
لعز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم الشيباني المعروف بابن الأثير ت ٦٣٠ هـ  
طبعة دار صادر - بيروت ١٩٨٢ م.
- ١٤- كتاب تخرّيج الدلالات السمعية  
لأبي الحسن علي بن محمد المعروف بالخزاعي التلمساني ت ٧٨٩ هـ تحقيق الشيخ  
أحمد محمد أبو سلامة  
طبعة المجلس الأعلى للشئون الإسلامية - القاهرة ١٩٨١ م.
- ١٥- مع الأنبياء والرسل  
عبد الحلّيم محمود  
طبعة دار المعارف - القاهرة ١٩٩٩ م.
- ١٦- معجم البلدان  
للإمام شهاب الدين أبي عبد الله ياقوت الحموي ت ٦٢٦ هـ  
طبعة دار صادر - بيروت - ١٩٨٦ م.
- ١٧- مقدمة ابن خلدون  
للعلامة عبد الرحمن بن محمد بن خلدون ت ٨٠٨ هـ تحقيق على عبد الواحد وافي  
طبعة دار نهضة مصر - القاهرة ١٩٨١ م.
- ١٨- نهاية الأرب في فنون الأدب  
لشمس الدين أحمد بن عبد الوهاب النويري ت ٧٣٢ هـ  
طبعة دار الكتب المصرية - القاهرة ١٩٣٨ م.